

الفصل الثامن

فى تفسير الرسائل

مادة صعبة التفسير

تمثل رسائل العهد الجديد الجزء الأكثر إشباعاً فى الكتاب المقدس للمفسر، إلا أنها صعبة فى ذات الوقت. وتكمن المشكلة فيما يمكن أن يُسقط من الحساب منها وليس فيما يجب أن يُقال، بحيث تعطي النص، الغني فى مادته، حق قدره. فرجل مثل بولس كان يملك عقلاً يذخر بالأفكار والآراء ذات الأهداف المجيدة حتى أن بطرس نفسه اعترف فى تصريح هام عن رسائل بولس أن "... فيها أشياء عسرة الفهم..." (2بط3: 16). ومهمتنا هنا ليس فقط أن نفهم بقدر المستطاع، ولكن أن نوصلها لشعبنا فى عبارات يمكنهم استيعابها، وتكون مواكبة لحياتهم اليومية. هذه الرسائل عبارة عن وثائق مقترنة بالحجة. إنها مليئة بالحقائق المفصلة وصور دقيقة للمعاني، فكل كلمة تحمل أهمية خاصة؛ لذا فتفسيرها يستلزم العمل الشاق من قبل الواعظ، قبل أن يقوم بتجميع أجزاء من رسالته معاً.

وقد وجدت فى المبادئ التالية معونة عظيمة لاستخدام الرسائل فى الوعظ.

خطوات إرشادية لتفسير الرسائل

1- *دون ملاحظتك على الأفعال الرئيسية وزمن هذه الأفعال:*

فهذه الأفعال هي التي تحكم الجملة بأكملها. وفي هذا الصدد، المعرفة بالأصل اليوناني للأفعال يمثل أهمية قصوى؛ فاليونانية لغة أكثر دقة من الإنجليزية، ولها إمكانيات أكبر لتصوير أدق المعاني. فإن كنت لم تتمكن من دراسة اللغة اليونانية، فيمكنك الاستعانة بتفسير مناسب يوضح الاختلافات الهامة للمعاني. وحتى لو لم تستطع ذلك لافتقارك لمثل هذه الكتب التفسيرية، فلا تصرف النظر عن الرسائل، فلا يزال أمامك كنز

من الحقائق الروحية بين يديك، فقط عليك اكتشاف الأفعال المستخدمة، وكمثال لأهمية صور الأفعال، انظر ما جاء في أفسس 5: 18 "امتلئوا بالروح". فالأمر هنا ليس اختبار المرة الواحدة وإلى الأبد، لكنه يعني الخضوع المستمر لقيادة وسيطرة الروح القدس. ولكونه جاء في صيغة الأمر؛ لذا فهو مسئوليتنا نحن، وليس علينا انتظار أن يفعله الله لنا.

2- لاحظ الإيجابيات والسلبيات في النص:

أحيانا كثيرة لا يستخدم الكتاب المقدس الوصف الإيجابي للأمر، فنحن كثيراً ما نُخبر بما هو ليس صواباً أو ما هو ليس كذلك – بدلاً من وصفه إيجابياً – وما لا يجب علينا فعله، وهذا يعيننا على الفهم بصورة أفضل؛ فلا تقلق من صيغة السلب. وكمثال لذلك ما جاء في 1كو 13: 4-6 "المحبة تتأني وترفق" – صيغة إيجابية للغاية، لكنه يستطرد قائلاً: "المحبة لا تحسد، المحبة لا تتفاخر، ولا تنتفخ، ولا تقبّح، ولا تطلب ما لنفسها، ولا تحند، ولا تظن السوء، ولا تفرح بالإثم بل تفرح بالحق". فالتأكيد على إظهار السلبيات يوجّه الانتباه إلى الإيجابيات، تماماً كما في التصوير الفوتوغرافي حيث تكون الصورة السالبة الجيدة "negative" ضرورية لإخراج صورة نهائية واضحة. وغالباً ما تضع الرسائل الإيجابيات والسلبيات جنباً إلى جنب، ولا بد من وضع ذلك في اعتبارنا.

سمة أخرى من السمات الهامة في الرسائل، هي استخدام حروف الجر. فقد استخدم اليونانيون الكثير من حروف الجر لتوضيح المعاني الضرورية بصورة أدق، وبالمثل تستخدم هذه الحروف في بعض اللغات الحديثة، لكن في لغات أخرى يستخدم القليل منها. فإذا كانت لغتك من الفئة الأخيرة؛ فعليك إذن أن تجتهد لكي توصل المعاني التي في الرسائل لسامعيك. ربما تجرّب بأن تتغاضى عن أهمية بعض هذه الكلمات الهامة. أيضاً تنسم حروف العطف بأهمية قصوى في الرسائل، إذ أنها تربط جمل الحوار.

3- تفهّم الموضوع الرئيسي للنص قبل البدء في تفسير التفاصيل:

إن لم تستوعب الموضوع الرئيسي للنص؛ فسيفوتك المعنى الحقيقي الذي يرمي إليه الكتاب المقدس. وينطبق هذا بصفة خاصة على الأجزاء الكتابية التي تتعارض فيها آراء المؤمنين، مثل تلك المتعلقة بالأمور التي يكثر فيها الجدل أو المختصة بالمواهب الروحية (انظر رو14، 1كو12). فعندما تستوعب نقطة الحوار الرئيسية وتتفهم المشكلة التي يعالجها الرسول، سوف تتأى بنفسك عن العَرَض غير المتوازن للموضوع. وأكرر هنا، فإن وضع الأفعال الرئيسية في الاعتبار له أهمية قصوى، إذ أن هذه الأفعال تربط أجزاء الفقرة ببعضها البعض.

4- اعرف الظروف التي أحاطت بمن كتبت لهم الرسالة كلما أمكنك ذلك:

سوف تفهم التعبيرات التي استخدمها يوحنا في رسائله إذا توصلت إلى معرفة شيء عن البدعة الغنوسية التي واجهها آنذاك. وسوف تتفهم قصد بولس من كتابته لأهل غلاطية، بكل هذه القوة، حتى بدا أنه يتعارض مع ما كتبه يعقوب؛ إذا علمت أنه كان يعالج موقفًا بدا فيه الناس يرتدون إلى الاعتقاد بأن الخلاص إنما يكون بالأعمال وبحفظ الناموس. وفي واقع الأمر، فإن يعقوب كان يواجه موقفًا مضادًا، فيه ركن الناس إلى معرفة ذهنية لم تُسفر عن نتائج عملية في حياتهم.

5- قرّر مسبقًا كيفية تناولك للرسالة:

ربما ترغب في تناول الرسالة برمّتها في حالة عدم التزامك بعامل الزمن، لكن ذلك ربما يتطلب منك أعوامًا لتعظ مرة واحدة أسبوعيا لتفسير تفصيلات الرسالة. لا تنسى أن معظمنا لا يمتلك القدرة على تحمل سلسلة من العظات بهذا الطول، ولا عندنا الشعب الذي يرغب في الاستماع لمثل هذه السلسلة الطويلة من العظات؛ لذا عليك ان تقرّر الموضوعات الرئيسية التي سوف تعرضها، أو الأجزاء التي سوف تنحّيها جانبًا، أو النقطة التي ستتوقف عندها لتتناول موضوعا آخر. العظات المتسلسلة تبني إيمان الشعب، لكن لا داعي لأن تفقد تشوقهم بالاستمرار في نفس السلسلة لوقت طويل. إن من أصعب الأمور على الواعظ هو اختيار ما يجب أن يتركه جانبًا من كنوز الرسالة.

6-دقق جيداً في اختيار موضوعاتك، حتى تحقق توازناً مناسباً في التعليم:

إحترس من الاستمرار في اتخاذ الجانب العقيدي في الرسالة كمادة لعظاتك، أو الاستمرار في اتخاذ الجانب الأخلاقي. معظم الرسائل تبدأ بالعقيدة، ومنها إلى المبادئ الأخلاقية التي تنتج عن هذه العقائد. فإن وعظت عن المبادئ الأخلاقية بدون عقيدة؛ ستجعل هذه المبادئ الأخلاقية؛ بدون أساس، وإن وعظت عن العقيدة من دون مبادئ أخلاقية؛ فكأنك أضعت العقيدة في الهواء دون مواكبتها للحياة اليومية. كل منا له موضوعاته المفضلة، ومن فوائد الوعظ التفسيري، أن يحول بيننا وبين تكرار الوعظ عن تلك الموضوعات.

7- اتبع قواعد التفسير الكتابي:

من هذه القواعد الحيوية، ألا تفسر جزءاً من الكتاب المقدس بأسلوب مناقض للتعليم الواضح لجزء آخر منه. وهذا الكتاب ليس مجالاً لتقديم قائمة كاملة بقواعد التفسير، إلا أنني أود التنبيه على أمر واحد فقط: فكثير من العلمانيين يقترحون من الكتاب المقدس بانطباع أنه مادام أنه كلمة الله الموحى به بروحه، فهو لذلك لا تنطبق عليه القواعد اللغوية العامة، فإن سألتهم عن معنى إحدى الآيات في موضوع من الموضوعات، فإنهم يتجاهلون المعنى الواضح والبسيط للكلمات ويقدمون بعض العبارات العامة التي يتذكرونها عن الكتاب المقدس مثل "ينبغي أن نؤمن بيسوع"، مع أن الآية ربما لا تذكر شيئاً من هذا، إلا أنه يبدو أن هناك شعوراً دفيناً بأنه لا يمكن لهذه الكلمات المحددة أن تحمل المعنى القريب والواضح للعامة، ولا بد أن هناك معانٍ أعمق لا يعرفها إلا الذين أُعدوا للخدمة.

وقد تسبب الوعظ في بعض الأحيان في هذه الحقيقة المؤلمة؛ إذ أنهم يستخرجون صوراً خيالية من أجزاء من الكتاب المقدس، لا تمت بصلة إلى المعنى المقصود منها. ولأن شعب الكنيسة لا يدركون الصلة بين النص والصورة المقدمة، فإنهم يفترضون بأن هناك خطأ ما في طريقة فهمهم للكتاب المقدس، عوضاً أن يفترضون الخطأ في الوعظ نفسه. ومهمتنا ليست أن نضع العراقيل أمام المعاني البسيطة والواضحة، لكن على

العكس، أن نزيدها وضوحًا؛ فيرجع الناس إلى بيوتهم تواقين إلى إعادة قراءة النص الذي قُدم، إذ أنه بات واضحًا تمامًا لهم.

تطبيق عملي

في تفسير الرسائل أجد أنه من المفيد حقًا كتابة النص في عمودين (انظر جدول 5). وقد سجّلت كلمات أقل في كل سطر، نظرًا لكثرة ما يمكن تعلّمه من الرسائل. حاول إخفاء العمود الأيسر من الجدول لتتيح لنفسك تدوين استنتاجاتك الشخصية.

ستحتاج لمساحة أكبر لكتابة تحليلك للرسائل نظرًا لما تتضمنه من مادة مزدحمة بالأفكار. من الأفضل أيضًا أن تعيد قراءة الجزء مرة أخرى بعد انتهائك من كتابة العمود الأيمن، وقبل شروعك في كتابة العمود الأيسر من الجدول، عند ذلك قد تظهر لك أنماط معينة.

التفسير

دعني أعلّق على هذا التحليل: سوف تلاحظ - باديء ذي بدء - أنه عند البدء من الحافة سيكون من اليسير ملاحظة الأفعال الرئيسية. فأنت ترى هنا أن الله قد باركنا (عدد3)، واختارنا (عدد4)، وسبق فعيننا (عدد5)، وأنعم علينا بنعمته (عدد6)، وعرفنا بسر مشيئته (عدد9). بمجرد ملاحظتي لذلك، أستطيع سريعًا أن أحدّد الخطوط الرئيسية لعظة على الجانب الأيسر من الجدول، ويكون موضوعها "الأمر العظيم التي صنعها الله لنا"، وتُبنى الأجزاء الرئيسية بناءً على اختيار الله لنا قبل تأسيس العالم، مما يقودنا إلى

جدول (5أ) تصنيف النص الوارد في (أف: 1: 3 - 10)

عدد3	مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات
------	---

عدد4	كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة
عدد5	إذ سبق فعيننا للبنى بيسوع المسيح حسب مسرة مشيئته
عدد6	لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب
عدد7	الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته
عدد8	التي أجزلها لنا بكل حكمة وفضنة
عدد9	إذ عرفنا بسر مشيئته حسب مسرته التي قصدتها
عدد10	في نفسه (في المسيح) للتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض في ذلك

جدول (5ب) تحليل لما ورد في أف: 1: 3- 10

<p>الله هو الله بالنسبة ليسوع كإنسان، علينا أن نسيحه. الله أيضاً هو أبو الرب يسوع بكل معنى الكلمة. يسوع هو الرب الاسمى. إنه المخلص والممسوح. ماذا فعل الله - باركنا: - في البعد غير المنظور لكنه روحي وحقيقي. - في كل شيء وبكل ما نحتاج إليه.</p>

- البركات روحية تناسب أعماق احتياجاتنا.
 - كل شيء متضمن في المسيح وعلقتنا نحن به.
 ماذا فعل الله بالتفصيل - اختارنا.
 - في المسيح أيضا.
 - متى فعل ذلك - قبل تأسيس العالم.
 - لماذا فعل ذلك - لنحيا حياة إيجابية مقدسة، بارّة.
 - لمحو اللوم بسبب الحياة الشريرة.
 - ما يحدث في نظر الله هو المهم.
 - الدافع القوي لله هو المحبة.
 ماذا فعل الله بالتفصيل - عيننا مقدّمًا.
 - لماذا فعل هذا - ليتبنانا في عائلته.
 - في المسيح أيضا.
 - لأن الله اختار أن يجريها بهذه الطريقة.
 - هذه المحبة العجيبة التي لا نستحقها جديرة بمدحنا.
 ماذا فعل الله بالتفصيل - أعطى نعمته مجانًا.
 - مرة أخرى كل هذا في المسيح فقط - الباعث
 الأسمى لمحبه.
 تقود النعمة (في المسيح) إلى الفداء - يشترينا ثانية.
 هذا متاح من خلال الصليب فقط.
 تشتمل غفران الخطايا وتجعله ممكنا.
 كل هذا متناسب مع غنى النعمة.
 النعمة جزيلة (بغير حساب).
 وتظهر حكمة الله الكاملة وفهمه.
 ماذا فعل الله بالتفصيل - إعلان وإظهار.
 - سر كان مكنومًا، ولكنه أظهر الآن.
 - ويعتمد هذا بجملته على مسرته،
 - وقصده المدروس.
 - كل هذا مضمون في المسيح أيضا.
 لا بد لمشينة الله أن تنجح.
 لكن في الوقت المعين - هذا تدبير نهائي.
 هذا إنجاز نهائي.
 هذا الهدف هو تجميع كلي للكون المنحل أرضيا وروحيا.
 هناك رأس مركزي لهذا الإنجاز الجديد.
 إنه يسوع المسيح نفسه.

القداسة والوقوف أمامه بلا لوم، وتعيين الله السابق لنا للتبني، يقود إلى كوننا أولادًا لله،
 وتعريفنا بالله يقودنا إلى مشاركتنا في ما يعمل، وبركة الله لنا بكل بركة روحية تقودنا إلى
 نوال كل ما نحتاجه لنتمم خطته لنا. من الواضح أنه يوجد الكثير والكثير من الأفكار التي
 تعيننا على الاستمرار في تقديم العظات لبعض الوقت.

ثم لاحظ حروف الجر- نحن مباركون في المسيح وفي السماويات. لقد سبق فعيننا للتبني ببسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته، الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته. تضيف هذه الكلمات الصغيرة عمقاً جديداً لمفهوماً عن محبة الله لنا.

لعلك لاحظت أن الله مستمرٌ في إنجاز كل مشيئته لنا "في المسيح". حينما ألقيت بنظرة سريعة على الفقرة ككل، لاحظت هذا الموضوع المتكرر مراراً، لذا فقد تعددت وضع الكلمات التي تؤكد هذا الفكر على نفس البعد من حافة الجدول (راجع جدول 5). وهكذا أمكنني بسهولة أن ألتقط من تحليلي للفقرة أننا بوركنا بكل بركة في المسيح، تم اختيارنا في المسيح، سبق تعييننا للتبني في المسيح، لنقبل نعمة الله العظيمة في المسيح، ونجد الفداء فيه، ونرى فيه إتمام مقاصد الله ومشيئته في التاريخ. نجد هنا الكنز الأعظم لمادة عظة حول موضوع الغنى الذي لنا في المسيح. بعد ذلك لاحظت الأسباب التي دعت الله أن يسكب نعمته علينا في يسوع المسيح. يخبرنا عدد 4 أن قصده من اختيارنا هو أن يخلق أناساً يحيون حياة مقدسة، حياةً بحسب مشيئته ونقاوته. ويخبرنا عدد 5 أنه قد سبق فعيننا حتى ننال التبني فننتسب إلي عائلته، ويخبرنا عدد 10 أن قصده النهائي هو أن يجمع هذا العالم المفكك تحت سيادة الرب يسوع المسيح. فنحن نجد في هذه النقاط الثلاث أهميتنا، كما نجد أماننا؛ فلن يمنعه أحد من إتمام مقاصده، كما نجد أننا موضوع محبته اللانهائية. آه لو يدرك الناس من هو الله! إذن لتخلوا عن كل السبل الأخرى لإشباع احتياجاتهم الأساسية التي وضعها الله فيهم. وهكذا تكون هذه الثلاثة مقاصد الإلهية أساساً لعظة، مستخلصة من رسالة أفسس مباشرة، وتطبق على الاحتياجات الملحة لرجال ونساء العصر الحالي.

لاحظت أيضاً في هذه الفقرة أن الله اختارنا من قبل تأسيس العالم عدد 4. كان يعمل لأجلنا حتى قيل بداية التاريخ. لكن عدد 7 يخبرنا أننا نلنا الفداء في الصليب بدم المسيح، أي غفران خطايانا. أي أن الله كان يعمل أيضاً أثناء التاريخ. ويخبرنا عدد 10 أنه ينوي أن يجمع كل الأشياء تحت سيادة المسيح، أي أنه سيتم مقاصده لنا عند نهاية التاريخ وما بعده أيضاً. ما أروع هذه الصورة التي توضح لنا محبة إلهنا ونعمته! فرسالة عن هذا

الموضوع يمكن أن يكون لها أبلغ الأثر لإنسان يائس يشعر بأن حياته على وشك الانهيار، أو أنه لا يجد أي معنى لحياته على الإطلاق.

وبمواصلة التأمل في نفس العمود من الجدول، وجدت أيضا تباينًا شديدًا بين تكلفة هذا الخلاص العجيب من جهة الإنسان، وبين تكلفته على الرب يسوع. فبالنسبة لنا، نجد النعمة العظيمة المجانية، وقد أنعم بها علينا في المحبوب، أما بالنسبة له فهناك ثمن دمه الذي سَفَكَ مجانًا من أجلنا. ليس هذا هو الموضوع الرئيسي للفقرة، وما كنت لأتخذ هذا التباين كأساس لعظة، لكن يمكن أن تُلَفَّت به الأنظار في عملية بناء أحد الأجزاء الرئيسية للفقرة.

الخطوط العريضة للعظة

يمكن للنقاط التالية أن تحدد الخطوط العريضة لعظة تُبنى على الأفعال الرئيسية في هذه الفقرة:-

1- الله قد اختارنا:

يخبرنا عدد4 كيف، ومتى، ولماذا.

- اختارنا في المسيح، ونحن مدينون له بكل شيء.

- اختارنا قبل تأسيس العالم، فليس لنا دور في ذلك.

- اختارنا لنكون أناسًا قديسين، وكاملين تحت قيادته.

- اختارنا لنكون بلا لوم، وأبرياء من كل إدانة.

2- سبق الله فعيننا:

يخبرنا عدد5 بالآتي:

- أن أساس هذا الحق هو محبة الله.

- وأنه كان بغرض التبني ليضمنا إلى عائلته.

- ينبغي علينا عبادته، وتوقيره، وتسبيحه لأن هذا العمل بكامله إنما، صنيعه هو، وبحسب

مسرة مشيئته.

3- وهبنا الله نعمته المجيدة مجَّانًا:
يخبرنا عدد6 ، 7 أن هذه النعمة مجانية تمامًا، لكن ذلك لأننا نلنا الفداء من خلال الثمن الباهظ الذي دفعه المحبوب بدمه المهرق.
هذا ما جعل غفران خطايانا ممكنًا.

4- عرفنا الله بسر مشيئته:
يوضح عدد9 ، 10 أن ما عمله الله – ويعمله من أجلنا – إنما هو في إطار خطة شاملة العالم كله والتاريخ بطوله. فيومًا ما سيجتمع الناس جميعًا تحت سيادة الرب يسوع المسيح.
فلا عجب إذن من أن يبدأ بولس هذه الفقرة بمجد الله، ثم بالقول بأن الله باركنا بكل بركة روحية في المسيح يسوع.
ما سبق يمثل أوضح الخطوط العريضة لعظة، وكنت مدركًا – وأنا أكتبها – لغنى المادة التي تحتويها. يجب مراعاة الاختيار الدقيق للنقاط التي سوف تُشرح. سوف تلاحظ أيضًا غياب المقدمة في هذه العظة؛ فسوف نتناولها في جزء آخر من هذا الكتاب. وما أود التنبيه عليه هنا، أن هذه الحقائق الثمينة موجودة بالكتاب المقدس وتحتاج فقط لاستخراجها ووضعها أمامنا، وهذه مهمتنا كوعاظ بالكلمة.

أسئلة للدراسة

- 1- ضع الخطوط العريضة لعظة عن التبشير بالإيمان بحسب ما جاء في رومية5: 1-11.
- 2- ما هي الظروف التي دفعت يوحنا إلى كتابة رسالتيه الثانية والثالثة، بالرجوع إلى ما جاء بهاتين الرسالتين فقط دون الاستعانة بالتفسير؟

3- اكتب قائمة بالأفعال الرئيسية في 1 تيمو4: 6 - 16. ما الذي عليك فعله - في ضوء هذه الأفعال - لتصبح واعظًا أفضل؟ وضح ذلك في صورة قرارات عملية تبدأ في تنفيذها مباشرة.

4- كيف تخطط لسلسلة من العظات في سفر طويل مثل رسالة رومية؟